المبحث الثاني

حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ونتائجها على العلاقات المصرية – السوفيتية

عندما لم تفلح اتصالات الحكومة المصرية، في إقناع الحكومة الأمريكية بالتحرك جدياً، لوضع حد لما بات يعرف بـ (الجمود الدبلوماسي) لمشكلة النزاع العربي-(الاسرائيلي)[١]. لم يعد هناك من بديل سوى الحرب، ويبدو ان هناك عوامل عدة أدت إلى اتخاذ الرئيس المصري قرار الحرب، كان أهمها، إتمام الاستعدادات العسكرية، وضغط القوات المسلحة المصرية من اجل الحرب، وقلق الجبهة الداخلية المصرية، بسبب ثقل المناخ النفسي لحالة (اللا سلم واللا حرب)، فضلاً عن كون استمرار الدعم العربي لمصر مرهوناً بالقدرة على التحرك ايجابياً نحو إيجاد حل للازمة[٢].

ويبدو ان الحكومة المصرية أدركت ان القضية السياسية لن يحركها إلا عمل ايجابي قوي، وقررت ان تكون الحرب هي ذلك العمل الايجابي[٣].

كان قرار الحرب في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، يتضمن شيئاً من المفاجأة، بحيث ان قلة قليلة فقط هي التي كانت تعتقد ان مصر ستقدم فعلاً على خوض الحرب مع (إسرائيل) وذلك لان مصر قد التزمت في المواجهات العسكرية السابقة بالموقف الدفاعي[٤]. كما لم يتصور احد إمكانية قيام حرب في ظل تدهور العلاقات العربية السوفيتية من جهة، والموقف الحازم الذي يتخذه الاتحاد السوفيتي، وهو يشهد مرحلة

---

(١) للتفاصيل حول سعي الحكومة المصرية في الوصول إلى حل لمشكلة النزاع العربي-(الاسرائيلي) عن طريق اتصالاتها مع الولايات المتحدة ينظر: غفار جبار جاسم حمادي الجنابي، السياسة الأمريكية تجاه مصر ١٩٧٠-١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة تكريت، ٢٠٠٥، ص-ص٧٧-٧٨.

(٢) حسن نافعة، مصر والصراع العربي – الإسرائيلي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص٥٠.

(٣) صلاح السيد بيومي، الديمقراطية والقرار السياسي بين عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص١٧٣

(٤) الجمل، المصدر السابق، ص٨٨؛ امين هويدي "٣٠ عاماً على حرب العاشر من رمضان"، مجلة العربي، (الكويت)، العدد (٥٤٠)، تشرين الثاني، ٢٠٠٣، ص٢٠.

من التعايش السلمي، والوفاق مع الولايات المتحدة، في معارضة قيام أي حرب جديدة في الشرق الأوسط من جهة أخرى[١].

ويبدو ان الحكومة المصرية قد ألمحت للاتحاد السوفيتي باحتمال قيام عمليات عسكرية، لكن بطريقة لا يبدو منها نية مصر بالهجوم. ففي ٣ تشرين الأول ١٩٧٣، قامت الحكومة المصرية بإبلاغ الاتحاد السوفيتي عن وصول معلومات تفيد بان (إسرائيل) سوف تقوم بعملية إغارة على الأراضي المصرية[٢].

وفي ٤ تشرين الأول ١٩٧٣، طلب السفير السوفيتي في القاهرة مقابلة الرئيس المصري، وابلغه بان وجهة النظر السوفيتية تؤكد ان القرار الخاص بأية عمليات عسكرية، قراراً تتخذه الحكومة المصرية وحدها، وأضاف ان الاتحاد السوفيتي سيقدم لها العون والمساعدة، لكن الحكومة السوفيتية طالبت بسحب المستشارين المدنيين السوفيت وأسرهم من مصر[٣]. وقد وافق الرئيس المصري على ذلك، وطلب ان يتم الأمر بسرية وبشكل لا يثير الشكوك باقتراب موعد الحرب[٤].

---

(1) John L. Scherer, "Soviet and American behavior During the yom Kippur war" world Affairs, Vol. 141, No. 1, (Summer, 1978), p.5;. قرم، المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٢) فينوغرادوف، المصدر السابق، ص٧٥؛

El Sadat, Op. Cit, p.295.

يشير نيكولاي ايفليف (الملحق العسكري في السفارة السوفيتية في مصر)، بانه لم يعرف بأخبار الحرب إلا في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، لقاء مع نيكولاي ايفليف، تم عرضه على قناة روسيا اليوم ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٨/١٠/١٧، توقيت العرض: الساعة الثامنة مساءً.

(٣) يبدو ان تلك المعلومات تسربت إلى الجانب (الإسرائيلي)، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع عاجل في (إسرائيل)، تداولت فيه الآراء حول، هل تعني مسألة سحب العائلات السوفيتية، اقتراب قيام حرب جديدة في الشرق الأوسط، وكان هناك رأي يقول ان السوفيت سحبوا مستشاريهم وأسرهم بسبب تصاعد خلافاتهم مع الحكومة المصرية، ومع ذلك رأت الحكومة (الإسرائيلية)، ان تعلن التعبئة العسكرية على سبيل الاحتياط؛ ينظر: ايلي زعيرا، حرب يوم الغفران، الواقع يحطم الأسطورة، ط١، ترجمة: توحيد مجدي. المكتبة الثقافية، (بيروت، ١٩٩٦)، ص-ص١٨٩-١٩٥؛ فاروق الشاذلي، خبايا حرب أكتوبر، دار أخبار اليوم، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص٥٥.

(٤) ويشير السفير السوفيتي في القاهرة، إلى ان السوفيت استطاعوا في وقت قصير جداً، ترحيل (٢٧٠٠) طفل وامرأة سوفيتية، وبحدود ١٠٠٠ شخص أخر من ضمنهم عائلات السلك الدبلوماسي السوفيتي العاملون في السفارة السوفيتية في القاهرة، وخبراء من الدول الاشتراكية الأخرى، وتم ترحيلهم عن طريق طائرات ذات مواعيد إقلاع خاصة من مطار القاهرة، وكان

وعلى أية حال فان القول بان السوفيت كانوا قد فوجئوا بتوقيت قرار الحرب يعد قولاً منافياً للمنطق، ذلك لان الإمدادات العسكرية الضخمة، ونوعية السلاح، وجدية التدريب، والاتصالات المتتابعة على أعلى المستويات، وتأكيد السوفيت على حق العرب في استخدام، الأساليب كافة، بما فيها العمل العسكري لتحرير الأرض، ثم الدعم العسكري السوفيتي لمصر والتأييد السياسي لها، والجسر الجوي بعد الحرب مباشرة، كلها أمور تدل على معرفة الجانب السوفيتي بقرب الحرب، وان كانوا يجهلون توقيتها بالضبط(١).

وفي ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ نجحت القوات المصرية في عبور قناة السويس، وتمكنت في عملية اقتحام ناجحة، بدأت في الساعة الثانية ظهراً، من الاستيلاء على الجزء الأكبر من الشاطئ الشرقي للقناة، ولم يستطع الطيران (الإسرائيلي) على كثافة موجاته، ان يوقف تقدم القوات المصرية، اما السلاح الجوي المصري، فقد اشتبك مع الطائرات (الإسرائيلية) في معارك جوية في حين كانت القوات البحرية المصرية توجه ضرباتها نحو الأهداف (الإسرائيلية) المهمة على الساحل الشمالي لسيناء، معززة بذلك عبور القوات المصرية وموفرة لها الحماية الكافية(٢).

- الدعم السوفيتي لمصر اثناء حرب تشرين ١٩٧٣:

مع ان الاتحاد السوفيتي لم يكن راغباً في قيام الحرب خوفاً من تطور الأمور التي قد تؤدي نتائجها إلى المواجهة مع الولايات المتحدة. إلا انه في الوقت ذاته لم يكن في مقدوره منع قيام الحرب، وكان يرغب في بقائها ضمن حدود معينة، بحيث تكون حرباً محدودة تساهم في إعادة الدور السوفيتي إلى المنطقة(٣).

يدير أعمال الترحيل والإخلاء مجموعة خاصة من موظفي السفارة السوفيتية في مصر. فينوغرادوف، المصدر السابق، ص٧٥.

(١) حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص٩٣.

(٢) حسين طنطاوي، العبور، مصر ارض التحدي، مطبوعات دار الشعب، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص١٢٤؛ حسن البدري وآخرون، حرب رمضان، الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة، أكتوبر ١٩٧٣، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص-ص٩٣-٩٤.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص-ص١٧٢-١٧٣.

وقد التزم الاتحاد السوفيتي منذ بداية الحرب، بتأييد الجانب العربي سياسياً ومعنوياً وعسكرياً، وقد سعى السوفيت بصورة عملية وجدية لمد الجانب العربي بكافة المساعدات والخبرات الفنية والعسكرية اللازمة، لتمكين الجيوش العربية من المحافظة، على المستوى القتالي المطلوب في مواجهة الجيش (الإسرائيلي)[١]. وفي ٨ تشرين الأول ١٩٧٣ صدر بيان رسمي سوفيتي تحدد فيه الموقف السوفيتي من الحرب، وأكد على مسؤولية (إسرائيل) في قيام تلك الحرب، وان البلدان العربية تقاتل دفاعاً عن حقوقها[٢].

وفي ٩ تشرين الأول دعت الحكومة السوفيتية، الحكومة الجزائرية إلى مساعدة مصر وسوريا بكل السبل، كما أنشأت جسراً جوياً لنقل الأسلحة إلى البلدان العربية المساهمة في الحرب[٣].

وفضلاً عن ذلك وضعت وحدات جوية سوفيتية وخمس ناقلات كبيرة من نوع (AN-22) قادرة على نقل أربعين – ستين طن من العتاد على أهبة الاستعداد، تحسباً لأي طارئ يحدث[٤].

ومع إنشاء الجسر الجوي بدأ الاتحاد السوفيتي اكبر عملية لنقل الأسلحة عن طريق الجو، وقامت الطائرات السوفيتية من نوع (انطونوف-١٢) و (انطونوف-٢٢)، بما يزيد على ٩٠٠ طلعة جوية، لإيصال الأسلحة والمعدات الثقيلة والذخائر إلى مصر وسوريا، وكانت كميات اكبر بكثير من الشحنات تنقل عن طريق البحر إلا انها

---

(١) الحرب العربية – الإسرائيلية الرابعة، وقائع وتفاعلات، منشورات مركز الأبحاث، (منظمة التحرير الفلسطينية)، سلسلة كتب فلسطينية، تسلسل (٥٩)، (بيروت، ١٩٧٤)، ص-ص١٨٣-١٨٤.

(٢) عبد الكريم درويش، ليلى تكلا، حرب الساعات الست، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص٤٩٢، كما تضمن البيان تأييداً للمطالب العربية بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧، وقد وصف ذلك التأييد بأنه بمثابة الضربة الأولى التي انزلها السوفيت بالإيديولوجية الأمريكية في الشرق الأوسط، علي محجوب وآخرون، مصر بعد العبور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص٣٢٦.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص١٧٤؛ سعد التائه، مصر بين عهدين [١٩٥٢-١٩٧٠] [١٩٧٠-١٩٨١]، ط١، دار النضال، (بيروت، ١٩٨٢)، ص١٢٢.

(٤) وداد جابر غازي، موقف الاتحاد السوفيتي من الصراع العربي – الصهيوني حتى عام ١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (بغداد، ٢٠٠٣)، ص١٢١.

أخذت بالوصول عند نهاية الحرب، كما نشر الاتحاد السوفيتي أسطولا في شرق البحر المتوسط، وصل عدد وحداته حتى أواخر تشرين الأول ١٩٧٣ إلى ٩٦ وحدة، من ضمنها ٣٤ سفينة حربية و ٢٣ غواصة(١).

وخلال الفترة ٦-٩ تشرين الأول كانت القوات المصرية قد حققت نجاحاً في معركة القناة، وتمكنت من عبور مانع مائي صعب، ثم توقفت راضية بما أنجزته(٢). ولكون النتائج الأولية للحرب في صالح الجانب العربي، كانت الحكومة السوفيتية راغبة في تلك الفترة بوقف عاجل لإطلاق النار، قبل ان يتطور الأمر، وتتغير نتائج الحرب لصالح (إسرائيل)، وبعد توقف القتال مؤقتاً على الجبهة المصرية، أصبح هناك ضغط (إسرائيلي) على الجبهة السورية، وهناك من يشير إلى ان اتفاقاً حصل بين الحكومة السورية والحكومة السوفيتية، على ان يتدخل السوفيت لوقف إطلاق النار، بعد قيام الحرب بفترة قصيرة. وفي ٨ تشرين الأول أبلغت القيادة السوفيتية، الرئيس المصري بان القيادة السورية تمارس ضغطاً كبيراً على الاتحاد السوفيتي للحصول على وقف لإطلاق النار. ونظراً لشكوك القيادة المصرية، وللتأكد من صحة الموضوع، أبلغت القيادة المصرية نظيرتها السورية، بتلك المعلومات، وطلبت منها تأكيدها، إلا ان القيادة السورية نفت صحة تلك المعلومات(٣).

وفي ٩ تشرين الأول استدعى الرئيس المصري، السفير السوفيتي في القاهرة، وابلغه بان القيادة السورية نفت طلبها وقف إطلاق النار، بل انها أعلنت، ان الوضع

---

(١) فاسلييف، روسيا في الشرقين، ص١٤٥؛ نورهان الشيخ، السياسة الروسية تجاه الشرق الاوسط في القرن الحادي والعشرين مركز الدراسات الاوربية، جامعة القاهرة، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص٨٦.

(٢) يوسف كعوش، الدروس المستفادة من الحروب العربية – الإسرائيلية، ١٩٤٧-١٩٨٦، ط١، (عمان، ١٩٧٨)، ص٦٣، عرفت تلك الوقفة بـ (الوقفة التعبوية) استمرت من ٩-١٣ تشرين الأول ١٩٧٣، للتفاصيل ينظر: الشاذلي، المصدر السابق، ص-ص٢٣٥-٢٤٣؛ مجموعة مؤلفين، حرب تشرين/ أكتوبر، وجهات نظر وتحليل، ترجمة: خليل إبراهيم حسين الزوبعي، محمد نجم الدين النقشبندي، ط١، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٢)، ص-ص١٨٩-١٩١.

(٣) عبد المنعم شميس، السادات من القرية إلى المنصة، دار نون للطباعة، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص-ص٥٤-٥٥؛ Fahmy, Op. Cit., p.26.

على الجبهة السورية مُرضٍ، وهكذا لن تقبل مصر وقف إطلاق النار في ذلك الوقت، وسوف تبلغ دمشق بذلك، وذلك ما أغضب القيادة السوفيتية إلى درجة كبيرة[١].

ويشير إسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصري السابق) في مذكراته إلى ان برجنيف وغروميكو أثارا تلك المسألة في حديث معه في وقت لاحق، إذ أعلنا انهما ذهلا لنفي الرئيس السوري طلب وقف إطلاق النار، وأوضحا ان لدى الاتحاد السوفيتي وثائق تثبت ذلك الطلب لأكثر من مرة[٢].

وفي ١٠ تشرين الأول ١٩٧٣ كانت الحكومة السوفيتية تسعى بجدية للتوصل لقرار بوقف إطلاق النار، بعد ان دخلت العمليات العسكرية في حالة من الجمود، وتوقع السوفيت ان العرب لن يحققوا المزيد من المكاسب من ناحية تحرير الأرض، وكانت وجهة النظر السوفيتية تقتضي ان يتقدم طرف ثالث في مجلس الأمن بالدعوة لوقف إطلاق النار، ويقوم السوفيت بالامتناع عن التصويت، لتوفير غطاء مناسب لحلفائهم العرب، لقبول القرار ولكي لا يبدو ان العرب هم الذين يطالبون بوقف إطلاق النار، وقد تعمدت الولايات المتحدة إهمال ذلك المقترح، من اجل إعطاء المزيد من الوقت لـ (إسرائيل) لتحقيق بعض التقدم العسكري، قبل التقدم بأي مشروع لقرار وقف اطلاق النار[٣].

وخلال الفترة ١٠-١٢ تشرين الأول ركز السوفيت جهودهم نحو دعم عسكري للجبهة السورية، نظراً للموقف الحرج هناك، وفي ١٢ تشرين الأول نقل السوفيت ما يقرب من ٧٠٠ طن من العتاد إلى مصر وسوريا. وفي ١٣ تشرين الأول عبرت ميناء البسفور ٣ سفن سوفيتية كبيرة تحمل ما يقرب من ٧,٠٠٠ طن من المعدات العسكرية، كما تم نقل الطائرات من نوع ميج ٢١، و SA,5 إلى ميناء الإسكندرية[٤].

وفي نفس اليوم (١٣ تشرين الأول) صرح المارشال غريشكو بانه يجب على دول حلف وارشو، البقاء في حالة تأهب للقتال، في أعقاب اندلاع الحرب في الشرق

---

(1) Jonice Gross Stein, "Proxy wars: The Diplomacy of war Termination in The Middle East, International Journal, Vol, 35, NO. 3 (1980), p.507.

(2) Fahmy, Op. Cit., p.26.

(٣) ويليام بير، أسرار حرب أكتوبر في الوثائق الأمريكية، ترجمة: خالد داود، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص١٥٣.

(٤) ربابعة، المصدر السابق، ص١٢٧.

الأوسط، وأذاع راديو موسكو بياناً جاء فيه ((ان الاتحاد السوفيتي التزم بموقفه المبدئي في دعم الشعوب العربية بكافة الوسائل ضد العدوان الامبريالي – الإسرائيلي، ولم يقف قط ضد استخدام البلدان العربية لكافة الوسائل بما في ذلك السلاح لتحرير أراضيها))[١].

وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٧٣ وصل إلى مصر ما يقرب من (٢٧٥) طناً من المعدات العسكرية. وفي يوم ١٥ تشرين الأول بلغت ما يقرب من (٣٢٥) طناً إلا انها انخفضت كثيراً يوم ١٦ تشرين الأول، إذ بلغت ما يقرب من (١٧٥) طناً، وان وصول رئيس الوزراء السوفيتي إلى مصر في ذلك اليوم لا يمكن اعتباره تعويضاً مناسباً للانخفاض الملحوظ في نسبة التسليح[٢].

وعند التطرق للدعم العسكري السوفيتي للبلدان العربية في حرب تشرين تجدر الإشارة إلى مسألة هجرة اليهود السوفيت، التي أثارت الكثير من النقاش والجدل آنذاك، فبينما هناك من يرى ان الاتحاد السوفيتي الذي يقف مع العرب من خلال دعمه السياسي والعسكري لهم، يقف في الوقت ذاته مع (إسرائيل) من خلال إمدادها بمجموعات بشرية، تشكل بشكل أو بآخر إضافة جديدة للقوات المسلحة (الإسرائيلية)[٣]. وان تلك المجموعات البشرية من اليهود السوفيت شكلت أهم مصادر المادة البشرية الاستيطانية والقتالية لـ (إسرائيل)، إذ توجد بينهم نسبة عالية من الملتحقين بالجامعات والمتميزين علمياً ومهنياً حتى وصفوا بأنهم (نخبة علمية

(١) نقلاً عن: حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص٩٤؛ طاهر عبد الحكيم، حول حرب تشرين والتسوية الأمريكية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦)، ص٢٠٧.

(٢) ملكو، المصدر السابق، ص١٨٩. في تقرير لمركز العمليات في وزارة الخارجية الأمريكية جاء فيه ان الجهود السوفيتية من اجل إعادة تزويد الجانب العربي بالسلاح تضمنت خلال تلك الفترة القيام بـ (٤٠٠) رحلة جوية، ونقل ما يزيد عن خمسة آلاف طن من معدات الحرب، فضلاً عن قيام السوفيت بعمليات إمداد عن طريق البحر. ينظر:

Department of State Operations center Middle East, Task force situation, Report (36), situation Report in the Middle East as of 1800, EDT 16 Oct 1973, p.1.

(٣) ال طويرش، المصدر السابق، ص١١٠؛ "مستقبل العلاقات السوفيتية – العربية"، ورقة مقدمة من الأستاذ سيف علي الجروان -وزير الاقتصاد والتجارة- دولة الإمارات العربية المتحدة، إلى (ندوة الحوار العربي – السوفيتي)، (القاهرة ١٤-١٥ يناير ١٩٨٩)، ص-ص١٤،١٤١.

متخصصة)[١]. يرى البعض الأخر ان للاتحاد السوفيتي موقفاً ضمنياً يتمثل في مناهضة الهجرة إلى خارج الأراضي السوفيتية، إلا في حالات خاصة، مثل تلك التي تقوم على أساس (حق العودة إلى الوطن الأم)، أو وفق منطق إنساني قوامه وحدة الأسرة وجمع الشمل أو غير ذلك من الظروف الاستثنائية الأخرى[٢].

وان الاتحاد السوفيتي يشترط في ظل ظروف الصراع العربي – (الإسرائيلي)، ان لا يكون المهاجر في سن وقدرة تسمحان له بحمل السلاح والقتال في الجيش (الإسرائيلي)[٣].

وعلى أية حال وبغض الذظر عن حجم تلك الهجرة [*]، فهناك وجهات نظر أخرى تشير إلى ان قسماً من اليهود السوفيت كانوا يوصفون بضعف انتمائهم للحركة الصهيونية، وان توجهاتهم نحو الهجرة، كانت مدفوعة بدوافع مادية بالدرجة الأولى، وان تحسين أحوالهم المعاشية هو الدافع الرئيس وراء هجرتهم، وإنهم نتيجة ذلك كانوا يتعرضون إلى اضطهاد وعداء (إسرائيلي)، وان المواطنون السوفيت كانوا يعاملون على انهم دخلاء على المجتمع (الإسرائيلي)[٤].

لقد بذل الاتحاد السوفيتي جهوداً كبيرة في سبيل التوصل إلى وقف مبكر لإطلاق النار، خلال الفترة (٩-١٦) تشرين الأول ١٩٧٣، وفي الوقت الذي لم يتمكن فيه السوفيت من تحقيق وقف لإطلاق النار، فقد أدى عبور القوات (الإسرائيلية) لقناة

(١) عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفيت، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص،ص ١٤،١٤١.

(٢) سلافه حجاوي، اليهود السوفيت – دراسة في الواقع الاجتماعي، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٠)، ص١٤٧.

(٣) لطفي الخولي، ٥ يونيو، الحقيقة والمستقبل، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٥٦٥.

(*) تقدرها بعض المصادر بـ ٢٧٠٠ مهاجر خلال عام ١٩٦٩ و ٢٠٠,٠٠٠مهاجر خلال الفترة ١٩٧١-١٩٧٩ ينظر: حجاوي، المصدر السابق، ص١٦١؛ تيسير النابلسي، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية (٩٠)، (بيروت، ١٩٧١)، ص،ص٥٦،٦٢

(٤) لقاء مع الصحفي السوفيتي (قسطنطين كابيتونوف) ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، في يوم الجمعة الموافق، ٢٠٠٩/٤/٢٤، توقيت العرض، الساعة الثامنة مساءً؛ ماجد الحاج، الشتات الروسي في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (فلسطين، ٢٠٠٨)، ص١٢٢.

السويس، في يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣، وفتح ثغرة في صفوف القوات المصرية في منطقة الدفرسوار[١]. إلى تمسك السوفيت بموقفهم، وتأكيدهم على ضرورة الإسراع في الوصول إلى وقف عاجل لإطلاق النار. وفي ١٦ تشرين الأول زار الكسي كوسيجين (رئيس الوزراء السوفيتي)، القاهرة ليحدد مع الرئيس المصري خطاً مشتركاً للعمل، ويظهر ان زيارة كوسيجين كانت تهدف إلى استطلاع للرأي، من اجل الوصول إلى صيغة للسلام، ولإقناع القيادة المصرية بضرورة التحرك للوصول إلى قرار بوقف إطلاق النار لان الحرب أخذت تسير في غير صالح العرب[٢].

كان كوسيجين مكلفاً من القيادة السوفيتية بإبلاغ القيادة المصرية بان السوفيت لم يعودوا مستعدين لتعويض الخسائر الكبيرة في المعدات العسكرية المصرية، ومحاولة جلب انتباه السادات إلى ازدياد الأحجام الأمريكي في اتخاذ إجراءات صارمة لإيقاف الحرب. والتأكيد على ان السوفيت لن يكونوا طرفا في الحرب[٣].

اقترح كوسيجين على الحكومة المصرية السعي لوقف إطلاق النار، خشية ان يزداد الموقف العربي سوءاً، بعد ان قامت الولايات المتحدة بإرسال كميات كبيرة من الأسلحةلـ (إسرائيل)[٤]. إلا ان الرئيس المصري رفض ذلك مبرراً رفضه، بان

---

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: حسام سويلم، "ثغرة الدفرسوار – الأسباب والنتائج" مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٤)، السنة الرابعة والثلاثون ١٩٩٨، ص٨١؛ مرسي عطا الله، حقيقة الثغرة في الدفرسوار، رواية الحرب من غرفة العمليات، مطبعة أطلس، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص٨٨ وما بعدها.

(٢) حمدي الطاهري، حرب أكتوبر في الإعلام العالمي، ط٢، المطبعة العالمية، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص٣٧٩.

(3) Viktor Levonovich Israelian, inside The Kremlin during The yom Kippur war, by the Pennsylvania state university press, 1995, p-p-92.96.

(٤) بدأ الجسر الجوي الأمريكي لنقل المعدات العسكرية لإسرائيل في ١٤ تشرين الأول، وخلال الفترة (١٤-٢٣) تشرين الأول تم نقل ما يقرب من ١١ ألف طن من المعدات و ٤٠ طائرة فانتوم F4 و ٣٦ طائرة سكاي هوك A-4، و١٢ طائرة نقل C-130، احتوت على عدد من الدبابات. أراء جاسم محمد المظفر، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من حرب تشرين الأول ١٩٧٣، (دراسة تاريخية سياسية). أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٨، ص٩٣؛ احمد بهاء الدين، وتحطمت الأسطورة عند الظهر، سلسلة كتاب اليوم، العدد (٥٥٠)، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص٣٠٠.

الوضع العسكري العربي قابل للتحسن، ووصف الخرق الذي قامت به الدبابات (الإسرائيلية)، في منطقة الدفرسوار، بانه ليس أكثر من مناورة مؤقتة[١]. وقد حرصت القيادة المصرية على ضرورة مساهمة الولايات المتحدة وأهمية دورها الحاسم في الضغط على (إسرائيل) وإحلال السلام في المنطقة. وفي الخطاب الذي ألقاه السادات في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣ لم يشر إلى المساعدات السوفيتية لمصر، بل وجه كلامه مباشرة إلى الرئيس الأمريكي[٢]. ومع ذلك فان الحكومة السوفيتية أعلنت في بيانها الصادر في ١٧ تشرين الأول ١٩٧٣، عن استمرار الدعم السوفيتي للموقف العربي، إذ جاء في ذلك البيان ((ان موسكو تعتبر الحرب الجارية حالياً في الشرق الأوسط جزءاً من حركة التحرر الوطني العالمية ضد الامبريالية)) كما جاء في البيان ((... ان كفاح الشعوب العربية لاستعادة أراضيها المحتلة منذ عام ١٩٦٧ يتمتع بتأييد كل القوى الشعبية في العالم))[٣]. إلا ان القيادة المصرية قابلت ذلك البيان في ١٨ تشرين الأول ١٩٧٣ بتوجيه الشكر للحكومة الصينية على المساعدة التي قدمتها لمصر، كل ذلك كان من الأسباب التي أدت إلى نقمة سوفيتية[٤].

لقد سارت الدبلوماسية السوفيتية خلال تلك الفترة على أساس من الاستعداد العسكري المتزايد، إذ زاد حجم الأسطول السوفيتي في البحر المتوسط في الفترة من ١٦-٢٠ تشرين الأول ١٩٧٣ من ٢٢-٢٩ سفينة حربية، واخذ عدد القطعات البرمائية، المُعدة للإنزال البري يتجمع مقابل الشواطئ المصرية، كما وصل (٣٠٠) عسكري سوفيتي إلى مصر في محاولة لإعادة بناء نظام صواريخ (سام)، وجرى استعراض جوي لعدد من طائرات ميج ٢٥ التابعة للقوات السوفيتية[٥].

وعلى المستوى الشعبي كانت أحداث الحرب تحظى باهتمام شعبي سوفيتي واسع، وفي موسكو، قطعت الإذاعة الرسمية السوفيتية برامجها الاعتيادية، لتذيع

---

(١) فينوغرادوف، المصدر السابق، ص٨٦؛ جوزيف فينكلستون، السادات وهم التحدي، ترجمة: عادل عبد الصبور، ط١، الدار العالمية للكتب والنشر، (د. م، ١٩٩٩)، ص١٨٧.
(٢) نقلاً عن: دانكوس، المصدر السابق، ص١٧٥.
(٣) نقلاً عن: محمد علي الشهاري، "العرب والاتحاد السوفيتي" مجلة الكاتب، السنة الثانية عشر، العدد (١٥٢)، تشرين الثاني، ١٩٧٣، ص٩٦.
(٤) دانكوس، المصدر السابق، ص١٧٥.
(٥) مانغولد، المصدر السابق، ص٣٤٠.

انباء القتال بين القوات المصرية والقوات (الإسرائيلية)، كما كانت الصحافة السوفيتية متابعاً جيداً لأحداث الحرب، وأعطت اهتماماً كبيراً للمعارك الدائرة على جبهتي القتال وأبدت إعجابها بتنظيم الجيوش العربية ومهاراتها القتالية[١].

وفي الوقت الذي كان فيه الرأي العام السوفيتي يتابع باهتمام بالغ انباء الحرب، دعت اللجنة السوفيتية للتضامن الأسيوي والأفريقي جميع (القوى المحبة للسلام) إلى مضاعفة تأييدها لنضال الشعب العربي وإدانة الحكومة (الإسرائيلية)[٢]. وتمثل ذلك الموقف عبر جمعيات الصداقة السوفيتية مع الأقطار العربية، إذ أكد بيان صدر عن تلك الجمعيات، على ان الشعب السوفيتي يدين بشدة العدوان (الإسرائيلي) ويجدد تضامنه مع الشعب العربي ونضاله ضد (إسرائيل)[٣]. كما حظيت القضية العربية بتأييد عمالي واسع في موسكو، وتعزز ذلك التأييد من خلال بيان تأييد أصدره اتحاد النقابات السوفيتية في ١٤ تشرين الأول ١٩٧٣، الذي يضم ٩٠ مليون عضواً[٤].

وفي ١٩ تشرين الأول ١٩٧٣، عاد رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى موسكو بعد زيارته للقاهرة خلال الفترة (١٦-١٩ تشرين الأول ١٩٧٣)[٥]. وعلى اثر عودته طلبت الحكومة السوفيتية من الحكومة الأمريكية إيفاد وزير خارجيتها (هنري كيسينجر)[*]، إلى العاصمة السوفيتية لغرض إجراء مباحثات مشتركة حول الوضع

---

(١) نقلاً عن: صحيفة الاخبار (القاهرة)، العدد ٦٦٤٤، ١٩٧٣/١٠/٧.
(٢) صحيفة الجمهورية، (بغداد)، العدد ١٨٣٢، ١٩٧٣/١٠/٩.
(٣) صحيفة الثورة (بغداد)، العدد ١٥٨١، ١٩٧٣/١٠/١٠.
(٤) صحيفة الاخبار (القاهرة)، العدد ٦٦٥١، ١٩٧٣/١٠/١٥.
(٥) يشير تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٩ تشرين الأول ١٩٧٣، إلى ان رئيس الوزراء السوفيتي غادر القاهرة دون الوصول إلى نتائج حاسمة حول مسألة إقناع الحكومة المصرية بضرورة وقف إطلاق النار، كما أشار التقرير إلى ان هناك أشارات في الصحافة السوفيتية حول وجود قلق من تأثير الحرب على سياسة الوفاق الدولي ينظر:
(43) Department of State, Operations center, Middle East Task force, situation Report situation Report in the Middle East as of 0600 EDT 19 Oct. 1973, p. 1.
(*) سياسي أمريكي، ولد عام ١٩٢٣ في ألمانيا، من أسرة يهودية هاجرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٨، حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٣، عمل في المخابرات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد عام ١٩٧٥، عمل باحثاً وأستاذا جامعياً حتى عام ١٩٦٩، عمل مستشاراً لشؤون الأمن القومي في عهد الرئيس نيكسون في الفترة ١٩٦٩-١٩٧٣، وأصبح وزيراً للخارجية الأمريكية عام ١٩٧٣.

في الشرق الأوسط. وفي ٢٠ تشرين الأول وصل كيسنجر إلى موسكو، وخلال يومي ٢٠-٢١ تشرين الأول ١٩٧٣، دارت بينه وبين الحكومة السوفيتية محادثات حول الوصول إلى قرار لوقف إطلاق النار وإنهاء العمليات الحربية على كافة الجبهات في الشرق الأوسط.(١)

وفي الوقت ذاته كان السادات يدرك مدى التأثير النفسي للهجوم (الإسرائيلي) المضاد على القوات المسلحة المصرية. ففي ٢١ تشرين الأول استدعى القيادة العسكرية المصرية وطلب الاطلاع بدقة على الوضع العسكري، ثم اتصل بالحكومة السوفيتية، وابلغها بان مصر مستعدة في ذلك الوقت لقبول وقف إطلاق النار، وفي تلك الأثناء كانت الولايات المتحدة، قد اتفقت مع الاتحاد السوفيتي، دون علم القيادة المصرية، على قرار جديد لوقف إطلاق النار من خلال رحلة كيسنجر إلى موسكو(٢). وعندما ابلغ الرئيس المصري الحكومة السوفيتية بموافقته على وقف إطلاق النار، بدأ الاتحاد السوفيتي بالتباحث مع الولايات المتحدة واتفقا على دعوة مجلس الأمن للانعقاد في اجتماع طارئ، وتم اتخاذ القرار ٣٣٨ في ٢٢ تشرين الأول

Encyclopedia American. Inc, VOL. 7, Op. Cit, p.212.

(1) Victor Israelyan "The October 1973 war: Kissinger in Moscow" Middle East Journal, Vol. 49, No. 2, (Spring, 1995), p. 254.

وهناك من يرى بان تلك الجهود السوفيتية كانت مدفوعة إلى حد ما بتأزم الوضع العسكري للجانب العربي، إلا انها كانت ايضاً مدفوعة بالرغبة السوفيتية في المحافظة على الوفاق، وأكثر من ذلك استخدامه كأساس لعمل مشترك بين القوتين لإدارة الأزمة. السيد أمين شلبي، الوفاق الأمريكي – السوفيتي ١٩٦٣-١٩٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨١)، ص٢٢٩.

(٢) ووصفت المحادثات الأمريكية - السوفيتية، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٣، بانها تمت في أجواء من الثقة المتبادلة، ومع ذلك فعلى الرغم من التخويل المطلق الذي يتمتع به كيسنجر من قبل الحكومة الأمريكية، فانه تظاهر، بضرورة الرجوع إلى الرئيس الأمريكي، ومشاورته في كل ما يمكن التوصل إليه من تفاهم بين الجانبين. ينظر:

Department of state, Memorandum of Conversation, 20 October, 1973. p-p4-5.

وقد يكون هدف كيسنجر من وراء ذلك هو إعطاء المزيد من الوقت للقوات (الإسرائيلية)، لتتمكن من تحسين موقفها القتالي الذي يضمن لها تعزيزاً أكيدا في الموقف التفاوضي فيما بعد.

١٩٧٣ [١]. وقد تضمن القرار دعوة للأطراف المعنية بوقف إطلاق النار، وتنفيذ ما جاء في القرار (٢٤٢) القرار الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، والبدء بمفاوضات تستهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط[٢]. وبذلك فان القرار ٣٣٨ ربط بين وقف إطلاق النار والبدء في تسوية سلمية في الشرق الأوسط[٣].

كان ذلك القرار تمهيداً لعقد المؤتمر الدولي للسلام في جنيف كإطار جماعي للتسوية، وكان الاتفاق الأمريكي – السوفيتي في تشرين الأول بمثابة حل وسط، فقد رغبت الحكومة السوفيتية بعقد مؤتمر دولي يتم من خلاله التباحث في سبيل إيجاد حل ملائم لمشكلة الشرق الأوسط[٤].

كما اقترح الرئيس المصري ذلك في خطاب له يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣[٥]، بينما كانت الحكومة الأمريكية ترغب في التوصل إلى صيغة يتم بواسطتها، إقناع (إسرائيل) بوقف إطلاق النار، وكان الحل الوسط يدعو إلى عقد

---

(1) Fahmy, Op. Cit, p.28.
بينما هناك من يشير إلى ان كوسيجين، تمكن من إقناع السادات بخطورة الموقف، بعد ان جلب له صوراً تم التقاطها عبر الأقمار الصناعية، لقوة (إسرائيلية)، تعمل غرب القناة، خلف القوات المصرية، وان رئيس الوزراء السوفيتي عاد إلى موسكو يوم ١٩ تشرين الأول، بعد ان اخذ تفويضاً من السادات للسعي وراء وقف إطلاق النار. مجيد العلوي، التاريخ العسكري للشرق الأوسط ١٩٤٠-٢٠٠٠، مركز ابن رشد للبحوث، (لندن، ٢٠٠٣)، ص٩٣؛ Safaran, Op. Cit. p.58.

(2) Department of State, Memorandum of Conversation, 22 October, 1973. P. 2.
للتفاصيل ينظر: نص القرار في، ابرز قرارات الأمم المتحدة حول الصراع العربي – الإسرائيلي، مجلة معلومات دولية، عدد(٦٢) ، لعام ١٩٩٩، المصدر السابق، ص١٩٠.

(٣) يفغيني بريماكوف، "السياسة السوفيتية تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي"، في كتاب: الشرق الأوسط، كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات، (تحرير) وليام بي كوانت، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص٥٥٠.

(٤) وفي محضر الاجتماع بين كيسنجر وغروميكو في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣، اتفق الجانبان على ان كليهما سوف يستخدم أقصى تأثير له على الأطراف المتنازعة، لضمان ان جميع أسرى الحرب سوف يطلق سراحهم في مدة لا تتجاوز ٧٢ ساعة عقب وقف إطلاق النار.
Department of State, Memorandum of Conversation, under standing, 22 October, 1973. P. 2.

(٥) خطاب الرئيس أنور السادات في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات، ج٣، المصدر السابق، ص٣٤٤.

مؤتمر في جنيف تحت رعاية كلاً من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، لإجراء مفاوضات بين (إسرائيل) والأقطار العربية[١].

وعلى الرغم من موافقة الأطراف مبدئياً على قرار وقف إطلاق النار، إلا ان الولايات المتحدة لم تبذل أي جهد حقيقي لإجبار (إسرائيل) على الالتزام بوقف إطلاق النار إلا بعد ان بدأ الاتحاد السوفيتي بالتهديد بالتدخل لصالح مصر[٢].

وفي النهاية توقف التقدم (الإسرائيلي)، لكن في ذلك الوقت كان (الإسرائيليون) قد رسخوا مواقعهم تماماً في الضفة الغربية للقناة[٣]، وكان الجيش المصري الثالث محاصراً، كما فرضت القوات (الإسرائيلية) حصاراً جزئياً على مدينة السويس[٤].

(١) ميادة علي حيدر رشيد الخالدي، مصر والتسوية العربية – الإسرائيلية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، (بغداد، ٢٠٠٢)، ص١٣٩.

(٢) في يوم ٢٢ تشرين الأول تمكنت الإمدادات السوفيتية من تنفيذ نحو ٦٠ مهمة من خلال الرحلات الجوية، مما رفع عدد مهمات الإمدادات إلى ٨٠٠ مهمة منذ بدأ الجسر الجوي يوم ١٠ تشرين الأول، وتم نقل نحو ما يقارب العشرة ألاف طن من المعدات العسكرية للجانب العربي منذ بداية الحرب.

Department of state, Operations center, Middle East Task force, situation Report (57) situation Report in the Middle East as of 1200, EDT, 23/10/1973, p. 2.

(٣) يرى إسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصرية السابق) ان مصر كان بإمكانها ان تكون في موقف أقوى لو انها قبلت وقف إطلاق النار في نفس مواقع القوات يوم ١٢ تشرين الأول قبيل بدأ الهجوم الإسرائيلي المضاد في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣..Fahmy, Op. Cit, p.29-30

(٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: حسين العشي، خفايا حصار السويس، مئة يوم مجهولة في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص١٥ وما بعدها.